/- المنابع الرئيسية للفكر الموسيقي العربي -/

د. نبيل شورة

مقدمة:

الموسيقى العربية ، هي حصيلة تراث قديم بدا يتكون منذ الحضارات القديمة ثم انصهر في بوتقة متخذا فكرا وطابعا ولونا خاصا به مميزا له ، توارثته الاجيال على مر العصور، حتى اصبح جزءا لا يتجزا منها.

فالموسيقى العربية هي تلك الموسيقى التي يتعاطاها العرب ادا وسماعا واستمتاعا واستيعابا ، وليس العرب هم سكان الجزيرة العربية فقط، وانما كل من يعيش من يعيش في بلد عربي يتكلم العربية ويمارس الحضارة العربية المرتكزة على اللغة العربية والدين الاسلامي والتراث العربي . ويمتلك العرب حضارة وفكر موسيقى واحد، وينتسبون لامة عربية واحدة رغم انقسامهم لعدة دول، ويقول د. محمد عمارة ((لقد غدت العروبة هوية لهذه الجماعة البشرية التي تعربت بعد الفتح العربي الاسلامي والتي اصبح ولاؤها وانتماؤها لكل ما هو عربي

فالحضارة العربية الاسلامية بعلومها وفنونها الدنيوية قد جاءت ثمرة للاسلام الدين ، وللمسلمين المؤمنين به مع تلك الاسهامات والاضافات التي دخلت نسيج هذه الحضارة من المواريث التي سبقت ظهور الاسلام ،وتلك التي ابدعها الذين تعربوا مع بقائهم على الشرائع الدينية التي سبقت ظهور الاسلام ، فعروبة البشر وعروبة الحضارة هي بسمة من السمات الثوابت التي غدت جزءا من الهوية التي تميز امتنا وحضارتنا عن غيرها من الامم والحضارات)) (1).

فالموسيقى العربية ، لغة يفهمها اهل اللغة العربية جميعا على تباين لهجاتهم واختلاف منازع الحس فيهم.

ولقد لعبت الموسيقى العربية في مختلف العصور الحضارية دورا هاما في البناء الثقافي والفكرى بحملها للهوية الاصيلة للشعب العربي ، حيث كانت جزءا لاينفصل عن الواقع الثقافي والفني والعلمي ، فاهتمت هذه الموسيقى بالواقع القومي فحملت معاناة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانسان العربي في مختلف مستوياته الثقافية وعموم طبقاته الاجتماعية ، فترجمت احاسيسه بكل صدق وامانة مصورة لعاداته وتقاليده وقيمه .

اهم الخصائص المميزة للموسيقى العربية

لقد تميزت الموسيقى المنتشرة على مساحة الوطن العربي الكبير من المنطقة الواقعة بين المحيط الاطلسي والخليج العربي، بالعديد من الخصائص التي من خلالها نتمكن من التعرف عليها من بين الموسيقات الاخرى ، ومن اهم هذه الخصائص ، نذكر :

اولا : انها موسيقى لحنية ، ذات صوت واحد ، وتم التركيز في تطورها على الخط اللحني مما يفسر الاتجاه للثراء الزخرفي.

واللحن هو حركة الانتقال من صوت الى صوت ، واذا وجد بجانب هذا اللحن شيء من تعدد التصويت ، وجب ان يكون من النوع الذى لا يؤثر في ظهور لحنها الاساسي، بل يكون مقويا ومحسنا له ، حتى اطلق عليه ابن سينا (محاسن اللحن).

وقد استخدم سيد درويش انواعا بسيطة من تعدد التصويت من روايته (شهرزاد) ، كما ادخله محمد عبد الوهاب في دور (احب اشوفك كل يوم)، وبعض الاغاني بطريقة لا تؤثر في ابراز الطابع اللحني لموسيقانا العربية التي يسيطر عليها ظاهرة المقام الذى يتكون من مجموعة من النماذج اللحنية التي تتميز بطابع خاص .

ثانيا : موسيقى تعتمد على الغناء.

وهذا ينبع اساسا من ان الموسيقى العربية غنائية يقتصر دور الالة الموسيقية فيها على المصاحبة او الترجمة او التمهيد للغناء ويؤكد هذا د. فؤاد زكريا في قوله ان ((التجربة الموسيقية في عالمنا العربي تكاد تقتصر على الغناء، حتى ان كلمة الموسيقى، عندما ترد على الاذهان، لا تعنى لدى معظم الناس الا فن الغناء، والكلام عن اوضاع الموسيقى العربية في الصحف والمجلات والكتب احيانا ، يتحول تلقائيا الى مناقشة لاوضاع الاغنية العربية ، وهكذا فان الموسيقى الخالصة تكاد تكون فنا غير معترف به في بلادنا .))

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فموسيقانا العربية تؤدى وظيفتها في المجتمع العربي عن طريق ارتباطها بالكلمة ، حيث تعطي الاولوية للنص الكلامي ، وتقوم الالة الموسيقية بخدمة هذا النص .

وباستعراضنا للحياة الموسيقية والاجتماعية العربية عبر مختلف العصور، نجد ان الموسيقى العربي كان ولا يزال الى يومنا هذا مغنيا في المقام الاول، فمنذ العصر الجاهلي تركز التعاطي في الموسيقى على شخص القينة المغنية واليوم يمثل المغني او المغنية مكانة مسيطرة في عالم الموسيقى العربية .

ثالثا : نظام سلمي غير معدل ، يخضع للنظام الطبيعي في التسوية اي عدم تشبيت درجة التذبذب الصوتي لكل من درجات الاصوات ، حيث تتميز الدرجة الصوتية الواحدة في حضارتنا الموسيقية بثراء في تذبذباتها الصوتية والتي تختلف من منطقة لاخرى ضمن حدود الصوت نفسه ، والتي تحدده فيزياء الصوت .

رابعا : استخدام اسلوب التلقين الشفاهي في تعليمها ، فهي ذات تقاليد شفاهية في نقلها من جيل لاخر، مما يفتح امكانيات مستمرة للخلق والابداع الموسيقي،وتواجد اساليب متعددة لاداء كل عمل فني موسيقي.

فالموسيقى العربية تنتقل كما تنتقل العقائد المذهبية والقصص والروايات.

خامسا : للجماهير المستمعة مشاركة فعالة في كل تجمع موسيقي ، حيث تقوم بالاسهام في عمليات الخلق وذلك بردود الفعل المباشرة في التقييم والنقد البناء.

وان ادى انتشار الراديو والتلفزيون الى جعل العلاقة بين المستمع العربي وموسيقاه علاقة محدودة غير مباشرة وهذه مرحلة مقتبسة من مفهوم الحضارة الاوربية المعاصرة فرضتها متطلبات العصر.

سادسا : يمثل الارتجال عنصرا ابداعيا اساسيا في الموسيقى العربية ، يبرز في اداء التقاسيم والليالي والموال والاستعراض الصوتي داخل القوالب الغنائية .

والتقاسيم ربما امكن فهمها بالاحالة الى اسلوب الزخارف الاسلامية التجريدية التي تقوم بوظيفة تقسيم الفراغ الى اشكال هندسية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعا : تتميز بثراء ايقاعي نلمسه فيتعدد ضروبها المتنوعة .

ثامنا : تتميز بالطرب ، الذي يعني الانفعال الذي تولده الانغام في النفس اي كان.

والطرب في اللغة :

طرّب : تغني ، وطرب في صوته : رجعه ومدة وحسنه

وطرب فلانا : اطربه ، وتطرب : اهتز طربا

والطرب : خفة وهزة تثير النفس لفرح او حزن او ارتياح واغلب ما يستعمل اليوم في الارتياح مما يحرك في النفس الطرب.

والمطرب : اسم فاعل فن اطرب وغلب في المغنى الحس الصوت والاداء.

(المعجم الوسيط / ج 2 ص 559 باب الطاء

والطرب يصحبه التعبير.

(عبر) عما في نفسه وعن فلان : اعرب وبين بالكلام وعبر به الامر — اشتد عليه ،وعبر الرؤيا — فسرها ،وعبر فلانا — ابكاه .

(المعجم الوسيط / ج —— ص 586 باب العين) .

الهدف من البحث :

معرفة أهم المنابع الرئيسية للفكر الموسيقى العربى .

أهمية البحث :

تنبع أهمية هذا البحث من أهمية الموسيقى العربية ، وهى لغة يفهمها أهل اللغة العربية جميعا على تباين لهجاتهم واختلاف منازع الحس فيهم .

حدود البحث :

يتناول هذا البحث تعريف الموسيقى العربية وأهم الخصائص المميزة لها ، مع تعريف للفكر الموسيقى العربى ومنابعه الأساسية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وللفن بصفة عامة فكرة الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع الذي يعبر عنه ،فهو لا ينفصل عن التطور التاريخي والعلاقات الاجتماعية .

والفن بمعناه العام تعبير انسان عن نزعة جمالية ، والموسيقى احدى فنون التعبير الجمالي ، بمثابة لغة للشعور والاحساس والعواطف البشرية المشتركة ، تشعبت لهجاتها ، فالموسيقى التي ينشا الانسان في احضانها ويترعرع في مغانيها منذ طفولته ، تترك في نفسه اثرا لا يمكن التعبير عنه ،ولا يمكن لاجنبي ان يدركه .

فلكل شعب موسيقاه ذات اللهجة المميزة ، والطابع الخاص المستمد من فكر الشعب وروحه واحاسيسه وظروف حياته وطبيعة ارضه ومناخه .

ويقول (آلن دانيلو) :

((ان الموسيقى تعد وسيلة لتفهم عمل افكارنا ، اضافة الى حساساتنا العاطفية ، كنوع من الترابط بين الرقم والمادة والفكر.)) (1)

فالفكر له اثر كبير في الحالة الثقافية لاية امة من الامم ، حيث تستمد الثقافة ذاتها منه ، والثقافة بمفهومها الشامل الواسع هي المخزون الجماعي لمحصلة المعارف والخبرات والقيم والفنون التي تمتلكها كل امة وتتميز بها عن غيرها من الامم ، والثقافة القومية عند الانسان العربي هي وعي وسلوك ذات قيمة تمجد ثورية على القيم القديمة ، وهي في نفس الوقت امتداد حضاري لها ، والموسيقى تشكل احد الروافد الثقافية ، حيث تستمد من نفس المنبع الثقافي الاصيل (2).

وللفكر الموسيقي ، ثلاثة منابع اساسية ، هي :

اولا : الموروث الموسيقي الغنائي من الاجيال الماضية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا شك ان الاصالة المستمدة من الموروث هي الدعامة الاساسية لبناء الحضارة وتكوين انسان قادر على مواجهة جميع التيارات الهدامة التي تحاول تحطيم القيم الروحية والحضارية لمجتمعنا العربي (3).

فالتراث ((هو كل ما وصل الينا من الماضي داخل الحضارة السائدة ، فهو اذن قضية موروث ، وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات)) (4) ويعتبر التراث بشقيه القديم والمعاصر المعين الذي يجب ان يستخدم كقاعدة عريضة تغذي الثقافة الاعلامية العربية ، ومن هنا وجب علينا العناية بجمع تراثنا الموسيقي وتصنيفه وتحليله ، واستخلاص ما يصلح منه وتقديمه للعالم بصيغة مقبولة تناسب العصر وتحدياته .

ولكل مجموعة عربية فنونها شعبية وتراثية موسيقية لها خصائصها المميزة وان اشتركت جميعها في صفات وسمات مشتركة مستمدة من التراث الثقافي العربي .

والتراث له وظيفة نفسية قومية تشكل سندا معنويا لارادة الانسان العربي حيث تعمل على تقليص حدة النقص التي خلفها التصادم الاوربي الحديث ، هذا الى جانب الوظيفة الجمالية التي تسبب المتعة ، واخذ الجيد من هذا التراث ليدمج في الجديد ويستمر معه ، الفتراث يتميز بالاستمرارية فنحن على الدوام نبدع عناصر تراثية جديدة ونورثها لمن ياتي بعدنا (5).

ودراستنا للتراث الموسيقي الغنائي العربي واجب قومي ، باعتبار ان الموسيقى اكثر الفنون دقة وفنية في التعبير عن العقل الانساني وشخصية الشعب ، بل ان الموسيقى لها تاثير كبير على العقل الانساني وهي بالتالي اكثر وسائل احياء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكبرياء الوطنية ، وتوكيد الذات فعالية (6) .

((والتراكمات الفكرية والتراثية ،تحمل في طياتها ايجابيات وسلبيات ، تبعا للبيئة التي احاطت بالفكر والفترة الزمنية التي عاشها هذا الفكر، ويجب ان يكون للامة من هذا الفكر موقف واضح شجاع ، يرتكز على العقلانية والمنطق ، فنقبل منه ما هو ايجابي ولايهم بعد ما وراء ذلك (7).

فلنجمع تراثنا الموسيقي الغنائي العربي ونصنفه ونحلله لنتعرف على الفكر الموسيقي لمن سبقونا ونستفيد من تجاربهم ،فالهدف الاساسي من دراسة تراثنا الموسيقي دراسة علمية ، هو التعرف على الفكر الابداعي وما يحتويه من عناصر مختلفة ووسائل مميزة ، ثم تسجيله وتحليله وتيسير نقله للاجيال القادمة للتعرف عليه ، فالعودة للتراث والاستلهام منه ، يلعب دورا بارزا في الحفاظ على انتماء الجماهير لتاريخها ، وليس السكن فيه ،بل اختراق الماضي كي نصل الى الحاضر ، املا في مستقبل مشرق .

ومن هذا المنطلق اصبح تراثنا الموسيقي الغنائي المستمد من فكرنا ، في حاجة الى حداثه تهدف الى اضافة موسيقية غنائية جديدة متواصلة مع اصالتنا وثقافتنا وفكرنا ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى متواصلة حضاريا مع التيارات الثقافية العالمية الحادة ،من جهة اخرى (8) .

ولا احد ينكر المجهودات المبذولة في جمع تراثنا الموسيقي الغنائي ، والتي انطلقت منذ انعقاد المؤتمر الاول للموسيقى العربية في القاهرة عام 1932 م ، حيث تم اصدار اربع كتب تجمع الموشحات والادوار في مصر ، وفي سوريا صدر كتاب (من كنوزنا) ، وثلاث كتب احتوت على كلمات الموشحات والازجال في الجزائر ، وفي المغرب الاقصى صدر ثلاث كتب عن (الالة) بالتدوين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي تونس صدرت مجموعة الاسفار التي تحتوي على نوبات المالوف التونسي .

وبالنسبة لتحقيق المخطوطات الموسيقية ، قام زكريا يوسف وهاشم الرجب بجهودة طيبة مشكورة في هذا المجال في العراق ، اما في مصر فالدكتور محمود الحفني وغطاس عبد الملك خشبة حققا العديد من الخطوطات .

ومن المجهودات المبذولة في هذا الشان ، نذكر تاسيس المجمع العربي للموسيقي الذي اصدر له مجلة خاصة (الموسيقى العربية) ، ويقوم بدور كبير وذلك بعقد الندوات العلمية التي تبحث كل قضايا الموسيقى العربية ، ولا شك ان هذه المؤسسة يقع على عاتقها مسؤلية كبيرة في الحفاظ على اصالة موسيقانا والانطلاق بها نحو مستقبل مشرق زاهر يتسم بالعصرية .

وفي سبيل المحافظة على هذا التراث ، تم انشاء فرق تقليدية تؤدي هذا التراث الموسيقي الغنائي ، نذكر منها : فرقة الموسيقى العربية والتخت العربي وفرقة ام كلثوم وخماسي الحفني ، في مصر . وفي العراق فرقة الجالغي البغدادي والرشيدية في تونس والجوق الوطني بالمغرب والموصلية بالجزائر.

واحقاقا للحق فقد بدا التطور انطلاقا من اصالة تراثنا الموسيقي الغنائي على يد الحامولي ومحمد عثمان فوصلا بالبناء الفني لقالب الدور الغنائي الى القمة الفنية من حيث الشكل والمضمون وساهم في استمرارية هذا التطور داود حسني وكامل الخلعي وزكريا احمد ورياض السنباطي ومحمد القصبجي وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب الذي سعى دائما الى التجديد والخروج بتراثنا الموسيقي الغنائي من الانغلاق والعزلة .

كما لا ننسى دور ام كلثوم البارز في تطوير الوان الغناء العربي فكل المحاولات الجديدة لتطوير القصيدة والمونولوج والطقطوقة كانت من خلال الاداء المتميز لها والذي ينطق بكل وضوح وصدق بالخصائص المميزة لموسيقانا العربية .

كما لا ننسى الدور البارز الذي قام به كل من عثمان الموصلي والقبانجي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وناظم الغزالي في تدعيم اصول المقام العراقي ونشره في العالم العربي ودور عبد الله الفرج في تدعيم اصول الصوت الخليجي ... الخ .

نضيف الى كل ذلك الدور الذي لعبة شيوخ الفن او الرواة ، حيث تعاطوه وحفظوه باسلوب التلقين الشفاهي ولقنوه ايضا بهذه الطريقة التي تعتبر وسيلة للمحافظة على ظاهرة الارتجال في موسيقانا العربية ،فكل شيخ من هؤلاء يضيف من ابتكاره وهذا ما يفسر اختلاف الروايات اثناء تسجيل التراث الغنائي العربي ، سواء في مصر او في العراق او المغرب او تونس ... الخ ومن هؤلاء الشيوخ الرواة نذكر من مصر ، محمود عبد السلام - عبده قطر- عبد السلام القاني - مصلح الحريري ، ومن تونس احمد الوافي - خميس ترنان - عبد الرحمن المهدي ... وفي الكويت نذكر يوسف البكر وضاحي بن وليد ومن العراق عثمان القبانجي ونظام الغزالي ويوسف عمر ومن سوريا علي الدرويش ... وغيرهم من مختلف انحاء العالم العربي وقد انحصر دور هؤلاء الشيوخ اساسا في المحافظة على مختلف الوان التراث الغنائي العربي (الدور - الموشح - المقام - الصوت ... الخ) ونشرها ، كما اضافوا على هذا التراث من ابداعهم ولكن دون تجديد ، وبالرغم من ذلك فدورهم كان هاما وضروريا ، استكملت هذا الدور الفرق الكبيرة والصغيرة التي تؤدي هذا التراث ، ومن اوائل هذه الفرق نذكر فرقة الموسيقى العربية في مصر والتي انشئت عام 1967 م فكانت الفرقة الرائدة المعاصرة لاداء التراث الموسيقي العربي بما يحتويه من مؤلفات الية ومؤلفات غنائية ، وقد ادى ذلك الى استيعاب الجماهير العربية للقيم الفنية والفكر الاصيل لموسيقانا العربية ، كما ادت هذه الظاهر الصحية الى زيادة الوعي الفني في خلق آداب الاستماع للجمهور العربي ، وظهور قيم وتقاليد جديدة لها وزنها وثقلها سواء في الاداء او في حسن الاستماع بالاضافة الى جذب الشباب لاستماع موسيقاهم وتذوقها والاستمتاع بها .

لقد جذبتهم تلك الفرق الموسيقية العربية للاستماع الى وجدان الاجداد ممثلا في انتاجهم الفني من الوان موسيقية وغنائية ، ومن التجديدات التي اضافتها فرقة الموسيقى العربية ، نذكر :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اولا : العزف طبقا لنوتة موسيقية مدونة يتفق جميع افراد الفرقة في اداءها ، وان ادى ذلك الى ضعف الابتكارية للمؤدين.

ثانيا : توحيد اقواس جميع الات الكمان بالفرقة ، حيث تخضع جميعا لحركة موحدة طبقا للاسلوب العلمي.

ثالثا : التوزيع في اداء الالحان بين افراد الفرقة ، والتي اصبحت تتكون من مجموعة كبيرة من العازفين.

رابعا : التعبير الذي يضيفه القائد باحاسيسه ومشاعره ،من التلوين الموسيقي بما يتفق وتركيبة الجمل اللحنية .

ثانيا : الحضارة والمعاصرة في موسيقانا :

لاشك اننا في عصر الثورة العلمية والتكنولوجية ،حيث يشتد التفاعل الحضاري وتقوى الضغوط على الانسان في تحقيق التوازن مع نفسه ، هذا بالاضافة الى ان ايقاع الزمن الحديث يفرض مسؤلية المعاصرة على موسيقانا العربية حتى نعمق مسار النهضة الثقافية معاصرة ،دون ان تتخلى كفضية مستقبلية عن جوهر التراكم الحضاري المتمثل بالهوية المحلية والخصوصية التي كانت وما تزال مقياس تطور الشعوب على الصعيد العالمي .

ولذا وجب علينا التفتح بيقظة وحذر لتطور موسيقانا لتواكب العصر فنستفيد بها بما يتناسب معنا ويتلاءم مع طبيعة موسيقانا اللحنية لان بديل ذلك هو ((التقوقع الفكري والعزلة الثقافية والاغتراب الانساني ،وكل هذه امور لم نعد قادرين على العيش في كنفها في عصر بلغ فيه التطور التقني في سرعة وشمول الاتصالات بين الامم فاقت كل خيال)) . (9) وليس معنى ذلك التقليد الاعمى باستعارة تجارب سابقة والوقوع في العمومية ونسيان الخصوصية ، فهذا يؤدي الى تبعية فكرية ، فيصدر الجديد من موسيقانا عن بيئة ثقافية مغايرة لبيئة الثقافة الوطنية ، ونقع في ازدواجية موسيقية . والوسطية الاسلامية (الاعتدال) احدى الملامح الاساسية للهوية العربية ، ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ((وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (1) صدق الله العظيم

(1) البقرة : 143 . القران الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اي يجب علينا توخي الموقف المعتدل المتوازن في فكرنا الموسيقي بين الاصالة والتجديد، فاصالة موسيقانا العربية بصمات حضارية لا يطمسها التفاعل الحضاري، كما انها لا تحتاج في حفظها والمحافظة عليها الى الانغلاق الذي يمكن ان يصيبها بالتشوه والذبول .

ولا شك ان التجديدات المتفتحة انطلق بها سلامة حجازي نحو تكوين مسرح غنائي عربي ، ومن بعده سيد درويش الذي اهتم بألحان الفئات الشعبية فهذبها لتغنيها مختلف الجماهير ، مع اهتمامه بالمسرح الغنائي ، ثم اخذ المشعل محمد عبد الوهاب الذي استمد تكوينه الفني منطلقا من التراث والاصالة والنشاة الدينية مع قسط ثقافي زود به رصيده المعرفي وساهم فيه امير الشعراء احمد شوقي . هذا بالاضافة الى الاستعداد الفطري لمحمد عبد الوهاب وطموحه وزغبته في تطوير موسيقانا العربية ، ادى كل هذا الى عديد من التطورات قام بها في الشكل والجوهر ،فطور التخت الموسيقي واسلوب اداءه ،مع استخدامات حديثة للتلوين النغمي والمقامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا : الذاتية الخصوصية للموسيقى العربية

والفكر الذاتي هو البناء العقلي الاصيل للامة ، ومؤشرها الحضاري الصحيح وموسيقانا العربية اصبحت في حاجة ملحة الى فكر جديد مستمد من الذاتية الخصوصية للامة ، وبدون انغلاق ، فليس هناك تعارضا بين اثبات الذات الفكرية وبين الانفتاح المتزن على المعاصرة بعقل ناضج وبصيرة وقادة وبمعيار علمي تحليلي . وذلك بجعل موسيقانا تعبر عن واقعنا واصالتنا وشخصيتنا ونهضتنا ، مع الاستجارة في نفس الوقت لروح العصر الذي نعيش فيه ومتطلباته فلا مفر من التوفيق بين تراثنا الموسيقي الغنائي من جهة وتجديده من جهة اخرى ، وذلك بالاخذ من القديم ما يتفق مع العصر ، بالاضافة الى التوغل في التجارب الفنية واستلهام الايجابي منها دون الوقوع في التقليد او الانبهار ، كما يجب القيام بدراسة علمية نقدية عقلية معاصرة ، مرتبطة بالاصالة ، ولكن بنفس جديد ،فلنربط بين حاضرنا الموسيقي وماضيه ، وننظر لتراثنا نظرية نقدية ، متذكرين قول ابي العلاء المعري :

((واني وان كنت الاخير زمانه ، لآت بما لم تستطعه الاوائل)) .

فحبنا لتراثنا الموسيقي الغنائي لا يمنعنا من تجاوز قيوده ، فلا خلق ولا جديد دون تجاوز الاشكال التقليدية ، ولا اضافة ممكنة بدون تجارب تدعمها وتشجعها ، فالاثراء الفني خلق حضارة ، لاحفظ ولا جمع والتراث ، فليس من واجبنا فقط التباكي على التراث والنظرية اليه بتعجب وتقديس ،نظرة المتعلم للمعلم العبقري . بل من واجبنا الجمع بين الاصالة والمعاصرة ، ويقول الباحث (بورخن السر)

((ان نشوء وتطور التقاليد المتقنة ، التي تشمل التقاليد الكلاسيكية ، يبرهن ان هذه التقاليد لم تكن منعزلة عن النتاجات الموسيقية الثقافية للاقوام او الشعوب ذات الاحتكاك المباشر ، وان تاريخ الموسيقى البشرية اطلاقا يتميز بجملة من عمليات الدراسة والاقتباس وتطويع الخبرات الفكرية والحضارية واكتشافات وابداعات ونتاجات المجموعات البشرية ساهمت بشكل كبير في توسيع النشاط الانساني ومنحه قدرات شاملة صاعدة ، وفي تحقيق ذاته ، ان تاثير حضارة ما في اخرى يشكل في حد ذاته عملية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تاريخية متشابكة للغاية)) (10).

كما يؤكد فرج العنترى ((ان رسالة الموسيقى عند اى شعب من الشعوب ان تعبر بادواتها ووسائلها عن قطاع انساني من البشر يتفاعل مع الحياة اخذ وعطاء بالامل والعمل في وطن عزيز على كوكب الارض)) (11) .

فالتاثير متبادل بين البشر في كل انحاء المعمورة نلمس ذلك من خلال التفاعل بين مختلف الحضارات القديمة الفرعونية والاشورية واليونانية ... الخ .

كما قد اثر العرب على الحضارة الاوربية ،بل ساهموا فيها بنصيب وافر ملموس ، حيث يقول عباس محمود العقاد : (ان بعض الاوربيين الخبراء بتاريخ الموسيقى العربية مثل فارمر ، يرون ان العرب قد سبقوا الاوربيين الى نوع من الهرمنة ، يسمونه (التركيب) ويعنون به توقيع النغمة من عدة طبقات من وقت واحد)) (12) .

والتركيب نوع من التمزيج * ، وعرفه ابن سينا في كتابة (الشفاء) تحت عنوان (محاسن اللحن) :

((انه يحدث بنقرة واحدة تستمر على وترين النغمة المطلوبة ، والتي معها على نسبة الذي بالاربعة والذي بالخمسة ،او غير ذلك كانهما يقفان في زمان واحد)).

---

* التمزيج (فن الاصطحاب) ، ويقوم على عزف نغمتين او اكثر في آن واحد ، وبزخمة واحدة ، قال عنه ابن سينا في كتابه (الشفاء) : ((انه عبارة عن المزج بين صوتين باداثها معا ، في انسجام توافقي ، واحسن ماينتهي اليه في ذلك ، الجمع بين الاساس وجوابه او خامسته او رابعته)) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتحدث عنه الاموي ، في كتابه (الادوار) فقال :

((التركيب اصوات متفقة في زمان واحد معا ، اذا جستا ، لكن ليس احداهما كالاخرى)) (13) .

ويشير د. محمود الحفني ، الى نظرية المزج والسبيكة فيقول : ((انها ترجع الى توافق الاصوات وتنافرها الى درجة تفاوتها في قدرة امتزاجها او سبيكتها بعضها ببعض ، والتي نتحدث عنها في القرن العشرين لم تكن مجهولة لدى علماء العرب منذ الف عام ، وهذا ما نراه في نسختبين من مخطوط في الموسيقى لابن سينا ، الذي عاش في القرن العاشر (من جملة كتاب النجاة) محفوظتين من مكتبة بودلين . باكسفورد تحت رقم (161) ، (561) حيث يصف المتفق والمتنافر من الاصوات ، فيقول : ((المتنافر : هو الذي لا يفضل اجتماع نغمتيه معا ، او لا ينالهما التداد للنفس بل تنفر منه ، والسبب فيه شق السبيكة بين نغمتيه .

المتفق : هو الذي يفعل هذا الالتذاذ ، وذلك لفضيلة فيه بين نغمتيه)) (14)

كما استعمل العرب التدوين قبل ان تعرفه اوربا ومؤلفات الكندي والارموي تشهد بذلك ، كما كان للعرب ((ارقى غناء وعزف بالالات ، ولم يكن للاوربيين منها الا ما يلتقطونه من العرب)) (15) فقد عرف العرب الغناء المتقن الذي سماه الاصفهاني في كتابه الاغاني ، واقامه وارسى اصوله فحول المغنين والملحنين في المدينة ومكة وبغداد والكوفة والمدن العربية الاخرى ، وكان صوت ام كلثوم ومحمد عبد الوهاب والقبانجي وغيرهم امتدادا لهذا الغناء. انه لمن المؤكد ان موسيقانا كانت قد وصلت الى مستوى فني رفيع وسجلت بطريقة تدوين خاصة تجد آثارها في مخطوطات الكندي والارموي الذي غنى لـ (هولاكو) في بغداد على النمط العربي فاثر فيه بغنائه وعزفه فحمله معه وانتقلت موسيقاه مع الجيش

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغازي اثناء عودته الى بلاد فارس وبلاد الترك .

-/ توصيـــــــــات /-

اولا : الابتعاد عن تجارب الغناء المركب المدونة على اسس الموسيقى الغربية شكلا ومضمونا ، اي التخلي عن التقليد الاعمى والتطبيق الحرفي للمعايير والاساليب العلمية والذي يحمل في طياته خطوره تكمن في القضاء على عناصر تمس جوهر الموسيقى او تسطيح لبعض مميزاتها ،وهذا هو سر فشل وعجز مؤلفي هذه الالوان اللوصول الى عقل ووجدان المستمع العربي .

ومن هنا وجب علينا استنباط وابتكار بوليفونية اصيلة خاصة بالموسيقى العربية حيث ترتبط هذه الموسيقى بمقامات خاصة متأصلة في الوجدان والمشاعر العربية المتواثة .

ثانيا: استيعاب وهضم خصوصيات الموسيقى العربية بمختلف لهجاتها قبل ان نقدم على تطويرها .

ثالثا : عند ادماج الات جديدة على الفرق التقليدية التي تؤدي التراث الموسيقى الغنائي العربي ، يجب وضعها بصورة لا تؤذي ولا تنفر الاذن العربية .

رابعا: ان يتحمل الاعلام العربي بمختلف وسائله ، مسؤليته الكاملة بامانة وصدق نحو موسيقانا العربية ، فغدا سوف لا يصبح في ايدينا ما نتحكم به فيما تنقله الينا الموجات المنقضة علينا من الفضاء .

خامسا: تطوير صناعة الالات ، وتنفيذ عائلة لكل من آلة القانون وآلة العود ، ووضع مؤلفات موسيقية خاصة بهما ، تتلاءم وتتناسب مع التكوين الجديد لهذه الالات عند انضمامها لالات التخت العربي التقليدي، مع ادخال هندسة صناعية آلية لالات التخت بحيث تصبح صالحة لمستوى الاداء الجماعي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسا : مراجعة شاملة لاساليب التعليم الموسيقي ومنهجيته ، وتوفير الادوات اللازمة لدارسي الموسيقى (الالة — الكتاب — اجهزة الاستماع ... الخ) مع الاهتمام بإستخدام منهجية علمية واضحة في تدريس الات الموسيقى العربية ، لتهيئة الاطارات الموسيقية المثقفة التي سيقع على عاتقها مهمة التطور ، اي المبادرة باعداد طرق تدريس (ميتودات) لعزف مختلف الالات العربية ، وانشاء قسم هندسي موسيقي لدراسة صناعة الات الجوق العربي التقليدي.

كما نوصي بتدريس التراث الغنائي العربي بطريقة علمية جادة تحليلية حتى تتم الاستفادة ، مع تقديم سلسلة تعليمية لتراثنا الموسيقي الغنائي العربي تتضمن اسطوانات او اشرطة ترافقها شروح صوتية .

سابعا : تربصات موسيقية علمية للملحنين والمطربين ، الذين لم يتاح لهم فرصة التكوين الفني والعلمي الجيد ، فعلم وثقافة الفنان زاده ورصيده الذي من خلاله يستطيع تطوير فكرنا الموسيقي العربي، ولنتذكر ان الحامولي الذي كان اول من حول الاغنية الى مسارها العربي السليم وذلك بتحريرها من التأثير التركي ، كان نجما في المجتمع له صلات كثيرة بمثقفي وعظماء عصره ، امثال محمد عبده وقاسم امين واسماعيل صبري وخليل مطران ، مما مكنه من الارتقاء الى مستوى ثقافي رفيع بالاضافة الى ثقافته الفنية التي تحصل عليها من خلال تجربته واحتكاكه بمن سبقه من القدامى ، وكذلك سفرياته فتاثر واثر وعلم وتعلم ، حتى وصل الى قمة الغناء العربي في عصره ، كذلك نذكر محمد عبد الوهاب هذا الفنان المثقف الذي يزيد من رصيد معرفته يوما بعد يوم فهو تلميذا لشوقي وصديقا للحكيم ، اما ام كلثوم فاشتهرت بمجالسها الفنية والادبية التي كانت تجمع احمد رامي والسنباطي وشوقي وحافظ ابراهيم وزكريا احمد والقصبجي وابراهيم ناجي وغيرهم ، فكانت سيدة الغناء العربي بما زودت به نفسها من ثقافة فنية وادبية رفيعة اضافت الى صوتها جمالا على جمال فتربعت على عرش الغناء بدون منازع لتمثل الغناء العربي في اوج عظمته .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثامنا : تكوين نقاد موسيقيين يكون في استطاعتهم المساهمة في تطوير الفكر الموسيقي العربي ، فقضية توخي التذوق الفني ترجع الى العديد من الاسباب ، اهمها غياب النقد الفني المتخصص الذي من شانه مد جسور قوية بين انتاج الساحة الفنية والجمهور المتلقي ، فالناقد الفني يستطيع فك رموز العمل الفني ليعطي المتلقي مفاتيح ابواب الفهم والادراك والتذوق والاستماع فالاستمتاع والتذوق الفني لدى المتلقي ، يتطلب :

- توفر الاعمال الفنية الابداعية مع وجود النقد الفني الواعي البناء.
- توفر الوعي لدى المتلقي ، فنحن في امس الحاجة لتكوين المتلقي (المستمع) الموضوعي الذي يوجه عنايته الى ما تحتويه الموسيقى التي يستمع اليها من تراكيب وصنعة ومهارة ، وبهذا يصبح لدينا نموذجا راقيا للمستمع الذي يمارس تذوقه بمدركات نقدية وعقلانية فيساهم في تكوين الفكر الموسيقي العربي.فمما لا شك فيه ان هواة الموسيقى بهذا المستوى سيجدون متعة اكبر اذا ادركوا ولو بعض الخطوات التي ينتهجها الملحن لصياغة اعماله الفنية ، فبدون هذا الفهم تصبح الموسيقى مسالة متعة لحظية قوامها احاسيس منعزلة تصادف وصولها الى مقر الاحساس .

وفقنا الله لخدمة وطننا العربي العزيز .

د. نبيل شـــــــورة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

/- المراجـــــــــع -/

(1) فاضل خليل :الموسيقى في المسرح (دراسة) — (آفاق عربية) ع (11) بغداد — فبراير 1985 م.

(2) د.عصام سليمان :نموذج للثقافة الجماهيرية الاعلامية العربية (دراسة) الندورة الدولية للفنون الشعبية العمانية (اكتوبر 1985 م) مسقط.

(3) عبد العزيز الهاني: مجلة الحياة الثقافية ص 43 (28—29) عام 1983 م تونس

(4) حسن حفني :التراث والتجديد. ص 11

(5) د.عصام سليمان :الندوة الدولية للفنون الشعبية العمانية (بحث).

د. فهمي جدعان :التراث بين الاحياء والاستلهام — مجلة العربي ع (318) عام 1985م— الكويت

(6) بدد.لفخانجلادا :مجلة القيثارة ع (4) عام 1979 — بغداد.

(7) د.محمود محمد سفر: الشرق الاوسط — 1986/3/8م.

(8) حسن حفني :التراث والتجديد ص 11—18—26—30—31

(9) نفس المرجع (7)

(10) بورخن السنر : (دراسة)الفنون ع (20) عام 1978م — بغداد

(11) فرج العنترى : (دراسة) الفنون ع (22)عام 1984 م — مصر.

(12) عباس محمود العقاد : اثر العرب في الحضارة الاوربية ص 81 — دار المعارف — 1946— مصر.

(13) د.نبيل شورة :— آلة القانون وتطور اسلوب العزف عليها (رسالة ماجستير)عام 1975.

— التخت العربي نشاته وتطوره الفني (رسالة دكتوراه) عام 1981.

كلية التربية الموسيقية — جامعة حلوان — مصر.

(14) د. محمود الحفني: (دراسة) المجلة الموسيقية ع (24) عام 1936 م — مصر.

(15) كمال النجمي :(دراسة العربي ع (311) اكتوبر عام 1984 م — الكويت .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

-/ مراجع اخـــــرى /-

- د. سمحة الخولـــى : مجلة العربي - ع (300) ص 28 - عام 1983م- الكويت.
- شهرزاد قاســـم : مجلة القيثارة - ع (46) عام 1977 م - بغداد.
- د. فؤاد زكريـــا : مجلة العربي (308) عام 1984 م - الكويت
- د. محمد عمـــارة : مجلة العربي - ع (307) -
- سليم فاضـــل : مجلة القيثارة - ع (10) عام 1980م - بغداد
- ممدوح حقـــي : ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني.
  عام 1971م - منشورات دار الحياة - بيروت - لبنان.
- د(عباس الجراري : مجلة عالم الفكر - ابريل وما يوريونية عام 1981 م - الكويت
- د(عبد الله ناصر الفـوزان : الشرق الاوسط - 1986/3/8 م .
- د. نبيل شـــورة : التخت العربي التقليدي (تحت الطبع)
  آلة القانون وتطور اسلوب العزف عليها (تحت الطبع)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com